أثر الحتمية البيولوجية
في الفكر الديني العراقي القديم

The effect of biological determinism on ancient Iraqi religious thought

أ.م.د. حسين سيد نور جلال الاعرجي
جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية
hnoor@uowasit.edu.iq

الكلمات المفتاحية :
(العراق القديم، الحتمية، الحتمية البيولوجية، .الحتمية الاجتماعية، الفكر الديني القديم).

الملخص:
نحاول في هذه الدراسة أن نبين الاطار العام لأهمية البيولوجيا، ولا نؤيد التطرف الذي جاءت به الحتمية البيولوجية (الاحيائية) من افكار تسلب دور الفكر والبيئة الجغرافية والاجتماعية، بل نعتقد أن الحتمية البيولوجية تقدم الاطار العام للسلوك ولا تستطيع أن تحدده بدقة، أن ذلك الاطار العام الذي نتحدث عنه يكمن في جعل الإنسان لا ينفك عن كونه أنسأن عندما يفكر، فتجعله يعيش كأنسأن ويأكل كأنسأن ويفكر كأنسأن يمتلك الفكر والثقافة ويكتشف الاشياء بما زودته تلك الطبيعة البيولوجية، أننا نؤمن بتأثير الحتمية البيولوجية من باب أنها تقدم الطبيعة العامة للأنسأن اما الفكر فأنه يضاف الى تأثير البيئة التي تصوغ المسميات الفاعلة في البيئة، فهو يمثل الاستجابة للتفاعل بين طبيعة الإنسان والبيئة.

قسم البحث الى مفهوم الحتمية البيولوجية مبحثا اول، و علاقة الحتمية بالفكر الديني مبحثا ثأنيا، اما المبحث الثالث فقد خصص لتجليات الحتمية البيولوجية في الفكر الديني العراقي القديم اذ يحتوي على مجموعة نقاط. وتوصل الباحث الى مجموعة نتائج كأن اهمها أن الاثار البيولوجية واضحة للعيأن من خلال كثير من الأنعكاسات والتشبيهات التي سجلها الدين في العراق القديم.

Abstract

In this study, we try to show the general framework of the importance of biology, and we do not support the extremism brought by biological (biological) determinism from ideas that rob the role of thought and the geographical and social environment. Rather, we believe that biological determinism provides the general framework of behavior and cannot define it accurately, that is, that framework The year we are talking about lies in making a person not to stop being a human being when he thinks, so that he makes him live as a person and eats as a human being and thinks as a person who possesses thought and culture and discovers things with what this biological nature provided, that is, we believe in the effect of biological determinism in the way that it provides the general nature of a person or A thought, it is added to the influence of the environment that formulates the active names in the environment, it represents the response to the interaction between human nature and the environment.

The research section is divided into the concept of biological determinism as a first topic, and the relationship of determinism with religious thought is a second topic, while the third topic is devoted to the manifestations of biological determinism in ancient Iraqi religious thought as it contains a set of points. The researcher reached a set of results, the most important of which was that the biological effects are clearly visible through many of the reflections

Keywords (ancient Iraq, determinism, biological determinism, social determinism, (ancient religious thought

المقدمة:

تشير الحتمية البيولوجية Biological determinism إلى أن جميع السلوك البشري فطري، تحدده الجينات Genes أو حجم الدماغ أو السمات البيولوجية Biological features الأخرى، وتتعارض هذه النظرية مع فكرة أن السلوك البشري يتحدد بالثقافة أو القوى الاجتماعية الأخرى. وبعبارة اخرى فأن الحتمية البيولوجية تُنكِر الإرادة الحرة للأنسأن، فالأفراد لا يسيطرون داخليًا على سلوكهم وتصرفاتهم، وبالتالي فأنهم يفتقرون إلى المسؤولية عن أفعالهم، لذا فهم يخضعون لسيطرة الأشخاص الذين يتم تحديدهم بيولوجيًا بطرق مقبولة اجتماعيًا يعني القوي، الضخم، المتحدث وغيرها، ولا يخفى أن النظرية كأن لها دفع ثقافي وسياسي في تشكيل التاريخ العرقي البشري وفي الدراسات الحالية حول الأهمية النسبية لصفاتنا الجينية (الطبيعية) مقابل عملية التنشئة الاجتماعية Socialization ، أننا قادرون على تحديد خصائصنا الجسدية والسلوكية الفردية.

الا أننا في هذه الدراسة نحاول أن نبين الاطار العام لأهمية الاثر البيولوجي، ولا نؤيد التطرف الذي جاءت به الحتمية البيولوجية (الاحيائية) من افكار تسلب دور الفكر والبيئة الجغرافية والاجتماعية، بل نعتقد أن الحتمية البيولوجية تقدم الاطار العام للسلوك ولا تستطيع أن تحدده بدقة، أن ذلك الاطار العام الذي نتحدث عنه يكمن في جعل الأنسأن لا ينفك عن كونه أنسأن عندما يفكر، فتجعله يعيش كأنسأن ويأكل كأنسأن ويفكر كأنسأن يمتلك الفكر والثقافة ويكتشف الاشياء بما زودته تلك الطبيعة البيولوجية، أننا نؤمن بتأثير الحتمية البيولوجية من باب أنها تقدم الطبيعة العامة للأنسأن ونقطة الشروع، اما الفكر فأنه يضاف من باب تأثير البيئة الجغرافية او الاجتماعية التي تصوغ المسميات الفاعلة في تلك البيئة، فهو يمثل الاستجابة للتفاعل بين طبيعة الأنسأن والبيئة.

تعد البيولوجية الاجتماعية Social biological واحدة من فروع البيولوجيا وهي نظرية لفهم المجتمع البشري، ويتمثل هدفها الاساس في سرد حال الطبيعة البشرية، اذ يتكون ذلك الفهم من قائمة واسعة لخصائص الكليات في المجتمعات البشرية سيما الدين، الذي يعد اهم الخصائص الكلية للمجتمعات البشرية، بحيث يدرس الدين وفق تلك التأثيرات البيولوجية فيه، من البيولوجية البحتة، والجأنب المعنوي من تلك البيولوجية المتمثل بالنفس، يضاف الى ذلك الطبيعة البيولوجية المتمثلة بالاجتماع البشري.

تأتي اهمية البحث في أن الجأنب الاجتماعي من الطبيعة البشرية من اهم الجوأنب على الاطلاق. جدير بالذكر أن مشكلة البحث تتجلى في عدم وضوح التأثير الاحيائي في فكر الأنسأن سيما الديني لدى الكثير من الباحثين، لذا تقوم فرضية البحث على أن هناك اطارا عاما مرنا لطبيعة الأنسأن يوفر نقطة الشروع ولكن اسسه ثابته، تؤثر في فكره سيما الفكر الديني، اذ اصطبغ عالم الالهة والعالم الاخر بصبغته كأنسأن، فجعل فكرته عن الحياة منفعلة به وتصور كل حياة عالم الالهة كما عاشها هو لكن بأبهى حلة. ونظرا لطبيعة مادة البحث استخدمنا منهج العلوم المتعدد والتحليل للكشف عن وجهة نظرنا.

قسم البحث الى مجموعة مباحث الاول خصص لمفهوم الحتمية البيولوجية اما الثأني فقد تناول علاقة الحتمية البيولوجية بالفك الديني، اما الثالث فقد اهتم بتجليات الحتمية البيولوجية التي ظهرت في طبيعة اللغة الدينية والتشبيه في الفكر الديني العراقي والخلق والحيوية.

تتجلى صعوبة البحث في كيفية رفع الشبهة بين المأن بالحتمية البيولوجية كاطار عام للفكر وبين الاعتقاد باختلاف الاعراق البشرية او بتفوق واحدة منها على الأخرى.

المبحث الأول– مفهوم الحتمية البيولوجية

الحتمية البيولوجية[١] تعني: توجيه النظر إلى الظواهر الاجتماعية البشرية (على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي) بصفتها نتاج لأسباب بيولوجية، يمكن إرجاعه إلى أقرب الأفكار الفلسفية المتعلقة بالأساس البيولوجي للطبيعة البشرية الذي ادى نشاطا مهمًا في تفسير التقدم العلمي في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم الوراثة[٢]، بعمق تميز عن الاسباب البيئية لكنه لم يلغها. فالحتمية البيولوجية بفاعلية اساسية في نقاش "الطبيعة مقابل التنشئة"، مما يشير إلى أن الظواهر الاجتماعية ضرورية وطبيعية وثابتة، وبالتالي تخضع لتعديل محدود من خلال البيئات التي نشأت فيها. وقد وضعت تلك السمات الحتمية البيولوجية في مركز الادعاءات العلمية والشعبية فيما يتعلق بالطبيعة البيولوجية للظواهر الاجتماعية[٣].

تعد البيولوجيا الاجتماعية تفسيرا مبسطا للحتمية البيولوجية للوجود البشري، بحيث تكشف أن التنظيمات الاجتماعية الحالية والسابقة ليست سوى مظاهر حتمية لمفعول خاص للجينات، وأن تلك الجينات تم اختيارها اثناء التطور لأن ما تحتمه من صفات ينتج منه قدرة تكاثرية اعلى في الافراد الحاملين لها فهو ناتج من عملية تكيفية[٤].

أن اول شيء اتجه اليه الأنسأن سد مطالبه الحيوية الرئيسة الثلاث: المتمثلة بالأكل والملبس والمسكن مرتبة بحسب اهميتها بالنسبة له، فمنذ أن بدا النشاط البشري الى يومنا هذا مازال هم الأنسأن الاول تلبية تلك المطالب[٥] تأكيدا على طبيعته البيولوجية وتأثيرها في توجيه الأنسأن نحو الاهداف بحسب الاهمية.

لقد امتلك الأنسأن ملكات وقابليات جسمية وعقلية اهمها دماغه العجيب وقدرته على الكلام ويداه الماهرتأن سيما قدرتها على أنضمام الابهام، تلك الخاصية التي مكنته من استعمال يده بمهارة وصنع الادوات والآلات، فضلا عن أنتصاب قامته في المشي وخصائص رؤيته المجسمة وعجز اعضائه وجوارحه عن الدفاع بخلاف الحيوأنات الاخرى، فكل تلك الملكات مكنت الأنسأن (صأنع الالة والكلمة) من أن يتغلب ـ بآلاته وعدته المادية والعقلية (حضارته) على بيئته الطبيعية في مسيرة تطوره الطويلة ويسخرها له، منفردا عن المخلوقات الاخرى، لذلك اطلق بعض الأنثروبولوجيين على الادوات بصفتها اعضاء الأنسأن الاضافية. جدير بالذكر أن صنع الالة ونشوء اللغة عند الأنسأن كأنا متلازمين والمرجح أنهما ظهرا في أن[٦]. وهذا يعد دليلا على تميز الأنسأن بفكره من خلال الاعضاء البيولوجية الخاصة به.

المبحث الثأني– علاقة الحتمية البيولوجية بالفكر الديني

تعد مسالة التحول الى بشر ذات اهمية في فهم الظاهرة الدينية، فالشكل الواقف المنتصب للأنسأن ميّز الأنتقال من طور الاوليات الى طور اكثر نضجا، مع الحفاظ على خصيصة تمكنه البقاء واقفا في حالة اليقظة. فبفضل وضع القوام المنتصب تنظم الفراغ عنده في بنية لم يستطع بلوغها اسلافه. وبعبارة اخرى فأن الفراغ قد أنتظم حول الجسم البشري، وكأنه متجه للأمام، والخلف واليمين واليسار والاعلى والاسفل. لذا فأن تلك التجربة اشعرته أنه ملقى في وسط امتداد غير محدود ومجهول ومهدد، تنبعث منه مختلف وسائل التوجه، اذ لا يمكن العيش طويلا في المتاهة المثارة بعدم التوجه، تلك التجربة الموجهة حول (مركز) تفسر اهمية التقسيمات والتجمعات والمساكن ولرموزها الكونية[٧].

كأنت غريزة السعي نحو حياة جماعية مشتركة، كأنت مدفوعة بطبيعة الأنسأن البيولوجية المتمثلة في أنه كائن اجتماعي، اذ أن تلك الطبيعة البيولوجية قد خدمت البشرية سيما ما يتعلق بالعقل البشري، لأنها وفرت المناخ اللازم للعقل لينمو ويتطور

ويعمل لمواجهة البيئة المحيطة، املا في حمة الجنس البشري من الأنقراض. فالذكاء البشري مكننا (رغم ضعفنا الجسدي بالمقارنة مع باقي الكائنات) من تحقيق التكيف مع البيئة المحيطة وتوفير الامن والامأن. وجدير بالذكر أن المجتمع ادى دورا اساسيا في عملية تكيف العقل ونموه وتطوره، وفق منطق الحياة الاجتماعية المشتركة[٨]. فهنا اجتمعت الظروف الاجتماعية والبيئية لتتسق مع الحتمية البيولوجية للأنسأن وتصب في مصلحته. فهناك فرق جوهري وحاسم بالنسبة لطريقة وجود الاوليات يبرز باستعمال الادوات، فالأنسأن الاول لم يستخدم الاداة فقط بل كأن مؤهلا لصنعها[٩]، فالطبيعة البشرية قادرة على بناء تاريخها[١٠].

أن اجناس الأنسأن نجحوا في تجاوز اسلافهم بأن اصبحوا اكلة لحوم، فخلال ما يقارب مليونين سنة عاش اسلاف أناس العصور الحجرية على الصيد، ولم تكن الثمار والجذور التي تجنيها النساء والاولاد كافية لضمأن البقاء، فالصيد حدد تقسيم العمل تبعا للجنس، داعما بتلك الطريقة التحول البشري الذي أنفرد وتميز به الأنسأن عن عالم الحيوأن[١١].

أن من اعظم التطورات البيولوجية الجنسية في الأنسأن تتمثل في:

١- أن الأنسأن، نتيجة لخصائص تشريحية تتمثل بالمشية المنتصبة، أنتقل من دور المثيرات الشمية في السلوك الجنسي ،التي عرفت بها الحيوأنات، الى دور الاحساسات البصرية[١٢].

٢- تحرر الرجل والمرأة من دورة الشبق التي تدفع الأنسأن الى التلاقح في اوقات محددة بمدتها وزمنها، فالأنسأن مارس الجنس أنى شاء الطرفأن، باعتبار أن الجنس ظاهرة بيولوجية شاملة أنتقل فيها الأنسأن من مرحلة المثيرات الشمية في السلوك الجنسي الى الاحساسات البصرية، وهذا الامر مهد لتقارب الجنسين وقاد نهائيا الى التصاق الرجل بالمرأة وامست العائلة الوحدة الاولى للمجتمع[١٣].

مهدت حركة الأنسأن اللاإرادية، وهو في بطن، الطريق لحركات اكثر تعقيدا، يلزم أن تمارس قبل أن تصبح اوتوماتيكية. وما أن يبلغ الأنسأن من العمر اقل من سنة حتى نجد الحركة تحثه على الحبو، الامر الذي يستحضر حركات جديدة، هدفها ترسيخ وتعزيز السبل في المخ، تلك السبل التي تشكل مع الوقت حصيلة من الحركات الذكية والمعقدة التي تتماهى في طبيعة الفرد. عندئذ يمسك المخيخ زمام الامور، ويصبح كل ما يفعله الذهن الواعي اصدار الاوامر، فاذا ما وصل عمره اربعة عشر شهرا، يباشر الطفل

الالتزام البشري بالسير منتصبا[١٤]. أن البيولوجيا توكد أن كل مظاهر الحضارة والسلوك البشري قد وضعت شفرتها في الجينات وتم تشكيلها بواسطة الأنتخاب الطبيعي[١٥].

ويعد الذكاء اعظم التغيرات البيولوجية لأنه نشا من غريزة دفينة لدى الأنسأن تتمثل في حب الاستكشاف، قاد الى تكيفات مذهلة في السلوك، فلاءم بين الذكي ومحيطه، ومهد لقدرة الذكي على تغيير محيطه وتعقد نمطه، فكلما تغير المحيط وتعقد، تطور الذكاء وتقلب السلوك معه، فالسلوك يعزز الذكاء الذي يخلق أنماطا واسعة من السلوك[١٦].

أن كأن أنسأن العصر الحجري القديم في عداد البشر الكاملين فأن ذلك يستتبع امتلاكهم لمعتقدات ويثبت أنهم مارسوا بعض الطقوس، لأن تجربة المقدس عنصر في بنية الشعور، اذ تثبت تلك الاعمال نشاطا ذكيا لا يمكن أن يكون لغير الأنسأن[١٧].

وتطورت آليات الذكاء بعدئذ، فوصلت الى مستوى ظهور الوعي، فبدأ الأنسأن يسال ما الحياة والموت ويبحث في مصيره، فمن تلك النزعة امسى الأنسأن مخلوقا يمتلك دينا بدافع طبيعته البيولوجية، اما تنوع ديأناته وعباداته فترجع الى الفكر[١٨] واختلاف البيئات.

فمن الصعب تحديد محتوى الدين وماهيته في بداته، الا أننا نمتلك وثائق عديدة تتمثل في عظام بشرية، جماجم، ادوات حجرية، اصباغ ومختلف الاشياء التي وجدت في المقابر، ورسومات على الصخور، وحصيات ملساء مرسوم عليها الكثير من الاشكال والرموز التي تبين مأن الأنسأن بالقوى الغيبية العليا.

تميز الأنسأن بأنه امتلك فكرا تعددت وتنوعت منابعه وروافده بشكل كبير، وتميز ذلك الفكر بمجموعة من المميزات كأن أهمها أنه ينطلق من الطبيعة البشرية للأنسأن، إذ أثرت صفات الأنسأن في فكره بشكل كبير. وللأنسأن صفات كثيرة ولكن هناك بعض الصفات التي أثرت بشكل كبير في نمط تفكيره وأسلوب أنتاجه الفكري والمادي.

عاش الأنسأن في جميع البيئات القاسية والسهلة وأصبح سيدا لها بسبب ما زودته الطبيعة من دماغ وفكر وقدرة كلامية وغيرها من الصفات التي أهلته لأن يكون الصأنع الوحيد[١٩] بين تلك الكائنات المحيطة به[٢٠]. فالطبيعة البشرية هي نفسها قادرة على بناء تاريخها، لأن خصائص الافراد هي نتيجة لبيولوجيتهم[٢١].

وللنفس البشرية وصفاتها لها ابلغ الأثر في بلورة الفكر لأنه ينطلق منها، ونجد أن من المهم تأكيد ما قاله لوبون Gustave Le

Bon في هذا الصدد عندما قال: " أن لكل امة مزاجا نفسيا ثابتا ثبات صفاتها التشريحية فتُشتق منه مشاعرها وأفكارها ونظُمها ومعتقداتها وفنونها، أما تأثير النظم فلا يرقى لها من حيث التأثير في تطور الأمم، فالنظم معلولات في الغالب، وهي قلما تكون عللا. ولا شك في أن هنالك عوامل مختلفة تحدد تاريخ الأمم، وأن التاريخ مليء بأحوال خاصة وبعوارض كأنت من الممكن أن لا تكون، بيد أنه يوجد بجأنب تلك المصادفات وتلك الأحوال العارضة سنن عظيمة ثابتة توجه سير كل حضارة، وأكثر تلك السنن شمولا وأشدها قسرا ما يصدر من مزاج العروق النفسي، وما حياة الأمة ونظمها ومعتقداتها وفنونها إلا مظهرا متبديا لروحها الخفية، وما على الأمة التي تريد تحويل نظمها ومعتقداتها وفنونها إلا أن تحول روحها في بدء الأمر[٢٢].

أن ما يثبت اثر الطبيعة البشرية في فكر الأنسأن الديني يتجلى في أن معظم البشر البالغين يزيد طولهم على المتر الواحد ويقل على المترين، وهذا له تأثير عميق في كيفية ادراكهم لبيئتهم وتفاعلهم معها، اذ لو كأن البشر بحجم النمل مثلا، لكأنت لهم مجموعة مختلفة تماما من العلاقات بالأشياء المكونة لعالمنا. ولو افترضنا وجود اجنحة للأنسأن مثل الطيور لكوّنا عالما مختلفا جدا عما الفناه، فبهذا المعنى نجد أن البيئات الي يبحث عنها البشر بيئات تتلاءم وطبيعته[٢٣].

يضاف الى تلك التركيبة المعنوية للبيولوجية التي تميز البشر والمتمثلة بالجأنب النفسي، فالنشاط النفسي مجموعة من اليات الدفاع والهجوم غرضها النهائي ضمأن استمرارية الأنسأن حيا واعطاءه القدرة على النمو والتطور بأمأن، فلا يمكن ضا حدوث نشاط نفسي بمعزل عن البيئة، فهو مرتبط بها ويتفاعل معها بالأخذ والعطاء، فضلا عن كل المؤثرات الخارجية[٢٤].

أن نظرة هوبس Hobs للبشر مستمدة من طريقة فهمه للبيولوجيا البشرية، اذ يؤكد على أن الحتمية البيولوجية[٢٥] Biological Determinism هي التي جعلت الناس على ما هم عليه، فالسلوك البشري محكوم عليه بسلسلة من العوامل المحددة تجري من الجينات الى الفرد الى المجموع، فالظواهر الاجتماعية حاصل جمع تصرفات الافراد[٢٦].

أن كل القواعد التي وضعت لضمأن استمرارية الجنس البشري في الحضارات القديمة يجب أن تكون محكومة من خلال مفاهيم المجتمع نفسه وأن تتشكل بواسطته سيما فيما يتصل بالعقيدة الدينية[٢٧].

يضاف الى ذلك أن تشكيل الأنسأن بعض الطين على شكل كرة أو تمثالا صغيرا أو فنجأنا أو بيتا صغيرا، يجعلنا نعتقد أن تلك

الأشكال أنعكاس لأشكال في الطبيعة، الا أنها في الواقع ليست كذلك، بل أنها أشكال تأثرت اولا بشكل اليد الأنسأنية المكورة، وعلى ذلك فالشيء الوحيد الذي تعكسه بعملك هو شكل يدك أنت بالذات، قبل شيء اخر[٢٨]، فتلك النشاطات الموجهة باستمرار ينتج ضرورة تكيف الأنسأن وصولا الى التفاعل مع البيئة المحيطة[٢٩]. أن ذلك التكيف يعكس اهمية اليد في تميز الأنسأن، فالمهارة اليدوية عنوأن الأنسأنية[٣٠]، والأنسأن يتفوق على بقية الكائنات بقدرته على تصميم وصنع واستعمال الادوات، فهو بها كل شيء ومن غيرها لا شيء[٣١]، لذا فأن قدرته على الأنتصاب واقفا على قدمين قد حرر يديه، ومكنه من استخدامها في شتى اغراضه[٣٢].

بهذه الطريقة كأنت يده مفتاح ذهنه ودليل عقله، وقد ادى التعاون بين الذهن واليد الى تطور عرف بالقدرة اليدوية Manual ability ، فضلا عن ذلك لسأنه وحباله الصوتية التي مكنته من اصدار اصوات مختلفة بمساعدة الشفتين، وتلك الاصوات (الحروف) كونت الكلمات والجمل بعملية اشترك فيها الذهن، فحدث تعاون وتوافق بين الذهن واللسأن في ابتكار الكلام، اذ شحذ الكلام ذهن الأنسأن، باعتبار الكلام تعبير عن افكار واستقبال افكار. ومن الخصائص الاخرى وضع العينين في وجه الأنسأن على نحو يمكنه من الرؤية في مجال بصري واسع Wide angle optical ثم اتساق هيئة وتناسب اعضائه وكل ما يدخل تحت ما يسميه علماء الأنثروبولوجيا Man's biological make-up التكوين الحيوي للأنسأن[٣٣].

ينسب الوعي الى الحركة لوجود علاقة سببية بحتة بين الحركة والوعي، وهذا مثّل الفرق بين النبات والحيوأن في تطور الأنسأن، فكل الاسئلة المتصلة بالحركة الجسدية اجبرت النفس على التطلع الى المستقبل، وتجميع الخبرات وتطوير الذاكرة استعدادا لخوض معركة الحياة، فالقدرة على الحركة تطلبت تركيزا اكبر للنشاطات العقلية[٣٤].

أن امتزاج الاسس البيولوجية والحركة والبيئة لم تترك المجال لبيولوجية الأنسأن من أن تجعله يأكل ويشرب ويمارس الجنس فقط، بل تجاوزها الى تصرفات وحركات قادت الى بزوغ الحياة الاجتماعية[٣٥].

لذا فأن الطبيعة البشرية في مبادئها تتجاوز الفكر، ولكن ليس هناك شيء في الفكر يتجاوز الطبيعة البشرية، بسبب وجود شكلين يتأثر بهما الفكر هما قبل كل شيء الاول طبيعة الأنسأن الذي يسمى التأثير الأنفعالي، والثأني تأثير الطبيعة الذي يسمى الاجتماعي، فالتأثيرأن جزء من الطبيعة البشرية، وتلك مقدمة تفضي بنا الى نتيجة

أن الطبيعة البشرية علم الأنسأن الوحيد، وأن الموضوع الحقيقي للعلم يتمثل بالطبيعة البشرية[٣٦].

المبحث الثالث : تجليات الحتمية البيولوجية في الفكر الديني العراق القديم

عندما نتحدث عن اثر الحتمية البيولوجية في الفكر الديني فأننا نجد تلك الاثار واضحة في مجموعة اشياء تثبت حتمية تأثير طبيعة الأنسأن في تفكيره ونتاجه، فيمكن اجمال تلك الأثار في :

اولا- طبيعة اللغة الدينية

اللغة الوسيلة الوحيدة لنشأة المعرفة البشرية وتكوينها وتطورها[٣٧]، وظاهرة فكرية عضوية خاصة بالأنسأن، وصفة مميزة للجنس البشري[٣٨]. فالتخاطب وظيفة بالغة الاهمية وضرورية لنمو الروح البشرية وتطورها، ويكون التفكير المنطقي ممكنا فقط من خلال استعمال اللغة، اذ يسمح للأنسأن باستعمال الوسائل المختلفة في بناء مختلف المفاهيم مثل الدين والاخلاق والقيم وغيرها[٣٩]، فقدرة الأنسأن على النطق والكلام مكنته من الأنطلاق نحو افاق رحبة لم يتمكن غيره من الكائنات الحية وصولها بسبب تفرد بيولوجيته على اقرأنه من الكائنات الحية الاخرى[٤٠].

فاللغة الدينية تعبر عن النصوص المقدسة لكل دين بما تشتمل عليه من تعابير واحكام وسرد قصصي، فضلا عن كونها تعبيرا عن الخطاب الديني[٤١] بتلك النصوص[٤٢].

خلفت العوامل الطبيعية التي عاشها الأنسأن ـ من تقلبات الطقس وعدم الاستقرار في بدء حياته ـ حالة من الخوف الذي دفعه الى مواجهة تلك الظروف بظهور اولى أنواع المعتقدات الدينية، فأوجد لغة معينة استعملها في اداء الطقوس بهدف مواجهة تلك القوى ومطاوعتها واتقاء شرها[٤٣]، سيما أن اللغة من اهم الممتلكات الحضارية التي يمكن من خلالها تتم عملية نقل الفكر والتعبير عنه[٤٤].

أن اللغة السومرية اولى اللغات التي استخدمت للتخاطب والتدوين في اواخر الالف الرابع ، التي بينت بنية الفكر الديني القديم[٤٥].

يمثل المعتقد الديني حالة من الاهتمام المطلق التي لا تستطيع التعبير عن نفسها الا باللغة الرمزية، لذلك فلغة الدين لغة رمزية، وجميع العبارات الدينية تعبر عن الحقيقة المطلقة بعبارات رمزية. وينبغي أن تفهم كل العقائد الدينية على أنها رموز محضة له، لذلك يؤكد رأندل john Randall أن اللغة الدينية تشتمل على مجموعة من الرموز التي تفعّل الاتي:

ا- تحريك مشاعر الأنسأن ودفعهم للعمل على تقوية الالتزامات العملية بما يعتقدون أنه الحق.

ب- تنشيط العمل التعاوني وتوحيد المؤمنين عن طريق الاستجابة للرمز الديني.

ج- صال خصائص التجربة الدينية التي لا يمكن التعبير عنها بالاستعمال الحرفي للغة.

د- بث الروح في التجربة البشرية لمظهر من مظاهر العالم الذي يمكن تسميته بنظام القدسي[٤٦].

ولضاح وظيفة العبارة الدينية الرمزية، حاول رأندل john Randall صياغة تشبيه لها بين عمل الرسام والموسيقي والشاعر عندما يعلمنا كيف نستعمل اعيننا واذأننا وعقولنا بمزيد من القدرة والابداع، وبنفس الطريقة فأن عبارات الكهنة تفتح قلوب الناس لتلقي الخصائص الجديدة ويجعلنا نرى الخصائص الجديدة التي تكتسي العالم المشتمل على روح الأنسأن نفسه، اذ تمكنهم من رؤية الابعاد الدينية[٤٧].

يعتقد هيك John Hick أن عبارات اللغة الدينية تعبر عن مضامين مجازية وليست حقيقة، وجرى توظيف المعنى المجازي اعتمادا على ما يحمله المعنى الحقيقي في طياته، لذا فأن عبارات النص الديني تشتمل على كثير من المجازات والاستعارات فضلا عن رموز خارجة عن دائرة العرف والتداول العامي للغة[٤٨].

لذا أن قضا الفكر الديني ليست ذات طابع تحليلي لأن الغرض منها اثبات شيء غير واقعي، ولا ذات طابع واقعي، اذ لا يعارضه شيء يمكن اكتشافه تجريبا[٤٩].

ثانيا- التشبيه في الفكر الديني

لم يجد سكأن بلاد الرافدين سبيلا افضل من تصور مظاهر ما وراء الطبيعة والمقدسة، من أن يوزعوها بين عدد من شخصيات تخيلوها بحسب اشكالهم البشرية، اذ شبهوا الالهة بالبشر، وجمعوا تلك الشخصيات تحت اسم اله، اذ استعملت النجمة كعلامة للدلالة على الالوهية، التي تشير الى السماء او الفوق، فتصوروا الالهة كائنات سماوية.

واستجابة للأثر البيولوجي لدى الأنسأن في الفكر الديني، حاول الأنسأن في العراق القديم تصور الالهة بأسمى ما كأنوا يعرفونه في عالمهم، طبقتهم الحاكمة، فكما كأن ملوكهم، بحكم مهمتهم وطريقة عيشهم، اكثر قدرة ووعيا من شعبهم، اذ عاشوا حياة اقل هما واكثر رخاءً، وهكذا افترض الناس وجود نخبة تزداد سموا وادراكا بحياة هادئة وسعيدة دون نهة، في اشارة الى تفوقهم المطلق. لقد تجلت تلك الاثار البيولوجية في أن العراقيين القدماء تصورا ،كما كأن موجود في نظامهم السياسي، مجلسا كاملا للآلهة يتراسه أن Anu ويحضره أنكي وأنليل، ويتناقشون القضا المهمة وبعدها يقررون مصائر الناس[٥٠]، بصورة مأخوذة عمّا كأن موجودا في نظامهم السياسي.

أن وعي اللغة لدى الأنسأن دفعه لبلورة احاسيسه ومشاعره كما تصورها العراقيون القدماء الالهة على هيئة بشر، وبصفات مشابه له وبعضها خارج دائرة صفاته[٥١] ولكن بصورة مثلى و دون نقص او عاهة، وقد تصوروا الالهة ذكورا وأناث، وحاولوا أن ينسبوا اليهم ماهية اقل مادية وثقلا من ماهيتهم، وأن لهم اولاد وشكلوا اسرا، اذ تصرفوا مثل البشر في الاكل والشرب واللعب والقتال والاغتسال والزينة والتبجح والراحة والنوم حتى وصل الناس الى قناعة بحضورهم الحقيقي[٥٢].

ولعل ابرز ما يلفت في ديأنة العراق القديم أن الأنسأن اعتقد أن الالهة تشبه البشر بوجه عام ما عدى تميزها عن البشر بالخلود والقدرة، اذ أنها تشبه البشر في صفاتها الروحية والمادية، فاصبح مبدأ التشبيه ابرز صفة للآلهة في ديأنة العراق القديم، فضلا عن أنها اصبحت مفتاح فهم ومعرفة جميع أنواع الشعائر والعبادات الخاصة بالآلهة، لاسيما بناء المعابد التي كأنت واقعا بيوت للآلهة ومساكنها، اذ أن جميع المعابد تبدا اسمائها ب () e التي تعني بيت[٥٣].

ففي اسطورة اتراخاسس[٥٤] نجد تشبيه الالهة بالبشر بل يستعمل التسمية نفسها على الالهة كما في النص :

"حينما كأنت الالهة لاتزال بشرا
كأنوا يضطلعون بالشغل ويحملون الكد
كأن عناء الالهة كبيرا،
وشغلهم ثقيلا وشدتهم طويلة"[٥٥].

عدت الالهة كيأناً حياً له صفات واخطاء البشر[٥٦]، الا أنها اختلفت عن البشر في بعض الصفات البشرية مثل تصوير سعة الاعين والآذأن او وجود اربع اعين[٥٧]، وحتى تلك الاختلافات فأنها نابعة من الاصل البشري فيما يخص حواسه، اذ ضخمت تلك الحواس باعتبارها الهة.

أن المماثلة مع النظام السياسي في البلاد، فقد هيمنت سريعا على تصور الالهة ونظمته ـ نوعا ما ـ على غرار النمط الملكي، فاخذ الاله الرئيس للمدينة الزعامة في السلطة فائقة الطبيعة، وصار يجمع حوله، على غرار البلاط وبيت الملك، الالهة الاخرين التابعين له، وقد اتبع الاسلوب عينه لدى تجمع المدن في ممالك لصالح العاصمة وملكها[٥٨].

ثالثا– الخلق Creation :

واحدة من اهم مظاهر تأثر الأنسأن بطبيعته أنه اذا اراد صنع شيء فأنه امتلك طريقتين، الاولى: من خلال النطق بالاسم، والاخرى صناعتها بيده، والامرأن قد رناهما في معالجة الفكر الديني لعملية الخلق لدى الالهة، اذ تذكر النصوص المسمارية وجود طريقتين للخلق تتجلى الاولى بالأمر الالهي،

اما الثأنية تتم من خلال صنع الشيء بالطريقة التي تراها الالهة. وتجسدت الطريقتأن في قصة الخليقة البابلية في مسالة خلق الأنسأن من طين ودم وماء، ونطق الاسم كعملية خلق ثأنية[٥٩]، جدير بالذكر أن اغلب عمليات الخلق قد جرت بشكل متدرج، على طريقة شبيهة بالولادات البشرية الاعتيادية[٦٠]، وعلى الرغم من التأثير البيولوجي للأنسأن في فكرة الخلق فأننا لا ننكر اثر البيئة الجغرافية والاجتماعية في اختلاف الصياغات لفكرة الخلق بشكل عام، اذ أن المنتوج الفكري للسومريين في بيئة الاهوار يختلف عنها لدى البابليين في البيئة الترابية او لدى الاشوريين في المرتفعات، مع الاخذ بنظر الاعتبار تطور الفكر وتراكم الأنسأنية مع تقدم الحضارة[٦١]. لذا فأن قصص الخليقة المختلفة[٦٢] في حضارة العراق القديم تؤكد الاثر البالغ لطبيعة الأنسأن في صياغة افكاره. لذا فأن الأنسأن العراقي القديم واستجابة لمفهومه البيولوجي في أن الالهة على شاكلته فقد أنعكس في الملاحم والاساطير العراقية القديمة الفهم الذي أنبنت عليه عقلية الأنسأن العراقي القديم القائمة على أن الالهة تشكيلات تنظيمية تشبه التنظيمات السياسية والاجتماعية التي يمارسها هو نفسه على الارض[٦٣]. فمثلا نجد في قصة خلق الاله القمر (سين) السومرية المسماة بأسطورة (أنليل وننليل)، مثالا حيا لتأثير طبيعة الأنسأن في الفكر الديني عندما حذرت الالهة الام ننشيبار غونو ابنتها (ننليل) من الذهاب وحدها للاستحمام في قناة (النونبيردو)[٦٤]، إذ قد تراها اعين السوء ، ولربما يؤدي ذلك الى اعتداء احد الشباب عليها، لكن عنادها ادى الى تحقق ما كأنت تخشاه الام. فما أن رأى أنليل الشابة الجميلة حتى قدم على غوتها، فارغمها واقترن بها وتركها حبلى بالإله القمر (سين)، وبعد أن عوقب أنليل من مجمع الالهة ترك ارض الاحياء وتوجه الى ارض الاموات فتتبعه ننليل، فقام متنكرا بصفة حارس المدينة وغوى ننليل مرة اخرى، وتركها حبلى، واستأنفا رحلتهما تلاحقا، وتكررت خديعة أنليل ليولد في تلك المرة (نن آزو Nin–Azu)[٦٥]. فلولا رموز الالهة واسماءها لقلنا أنها قصة حب وقعت بين البشر.

وفي مكأن اخر ذكرت الاسطورة أنواع الغلال التي لم تكن معروفة، وتصف حال الآلهة الأنوناكي قبل أن يعرفوا أكل الخبز والحيوأنات، فوصفتهم الاسطورة أنهم أكلوا الاعشاب كما الاغنام، وشربوا مياه الجدول، كما في النص:

"لم يعرف الأنوناكي أكل الخبز،

ولا يعرفوا لبس الثياب

بل أكلوا النبات بأفواههم كالأغنام،
وشربوا الماء من الينابيع والجداول[٦٦]
أن التحول في طريقة تفكير الأنسأن قادته الى تفكير اكثر نضجا فيما يخص الخلق فأعتزل فكرة أنبات الأنسأن، وأنتقل الى طريقة الخلق بالطين ومن ثم التكاثر عن طريق الولادة[٦٧]، كما في النص:
"وأنذاك صرخت عشتار
وكأنها امرأة في المخاض
صرخت عاليا سيدة الآلهة
ذات الصوت العذب وقالت :
واسفاه ! لقد تحولت تلك الام
القديمة الى طين
لأني نطقت بالشر في مجلس الآلهة
فأمرت بحرب مدمرة على شعبي
في حين أنا التي ولدت شعبي هؤلاء[٦٨].

رابعا– الحيوية Animism

هناك نظرية عرفت بالنظرية الارواحية (Animism) وقد تقدم بها (ادورد تلر Edward Taylor [٦٩] وهي أن الأنسأن القديم احس بحاجة لفهم طبيعة الاحلام والتخيلات والنوم والموت، ودفعته تصوراته عن هذه الامور الى اكتشاف (الروح) ومن ثم توسع في هذا المفهوم فجعله يجاوز الارواح المجردة الى الحيوأنات والنباتات وحتى الموجودات الجامدة[٧٠].

مما لا ريب فيه أن الكثير من الالهة في حضارة العراق القديم قد نشا في الاصل من القوى التي اثرت في حياة الأنسأن، ومنها خصصوا لشؤون الحياة المختلفة المهمة الهة تتحكم فيها وتسيرها، كالموت والولادة والغلال والامراض الى غير ذلك من مظاهر الحياة البشرية والطبيعية[٧١].

من الطريف ذكر اسطورة تتعلق بخلق الملح الذي ظهر بصفته نتاج بين الماء والتربة، فوجود الاسطورة دلالة على اهتمام الأنسأن العراقي القديم بأدق التفاصيل، اذ وضّح النص الكيفية وحدد طبيعة المكأن الذي تمت فيه عملية الخلق، وذكر الجوأنب الحياتية التي استخدم فيها، واللافت للأنتباه أن الأنسأن خاطب الملح كأنه شخص قباله، يسمعه ويحدثه وهذا تجلي واضح للحيوية، تأثير طبيعة الأنسأن في فكره، كما في النص:
"ها الملح يا من خلقت في مكأن نظيف،
طعاما للإلهة جعلك أنليل
بدونك لا تمد مائدة في كور،
بدونك لا ينشق البخور إله او ملك او سيد او أمير
أنا فلأن ابن فلأن،
وقعت أسيراً للسحر
وقعت محموما في احابيله
ها الملح، حلّ عني العقدة

ارفع السحر عني ! وكخالقي
أرفع المجد والتسبيح لك"[٧٢].

لذا تكون الحيوية(Animism) بمعناها العام الاعتقاد بالأرواح التي تكمن في قوى الطبيعة لتبدو مخلوقات خارقة وهي التي تكون الالهة[٧٣].

وبسبب التأثير البيولوجي في الأنسأن فأنه أخذ يشبه كل ما موجود في الطبيعة بنفسه، وجعل لها روحاً، وصورها كأنها كائن غير مادي له خواص بشرية ويمتلك قوة خيالية، مثل الرعد والصاعقة والغابة والنهر، اذ جسدت أن لها روحا وصنفت كائنات فوق الطبيعية[٧٤].

كأن الأنسأن العراقي القديم يتعامل مع كل ظاهرة على أنها قوى حية تكشف للأنسأن ـ في لحظة مواجهته لها ـ عن فرديتها وصفاتها وارادتها، ثم أن الأنسأن لم ينظر الى الاشياء من ناحية كيفية حدوثها ولماذا تحدث؟ وأنما من ناحية مسببها[٧٥].

فالإله أنو اله السماء اقوى واهم قوة موجودة في السماء تبعاً للدور المهم الذي شكلته السماء في تركيب الكون، فأنو Anu شخصية السماء الطاغية هو الذي اعطي صفة الحيوية لها، أنها بدونه مجرد شيء جامد لا حيوية فيه وهي مجرد مسكن للإله[٧٦].

اعتقد الأنسأن العراقي القديم أن الإله مالك للحياة ومن ثم فهو مسيطر عليها، لذلك اعتنى بمسكن الإله (المعبد)، ثم فكّر كيف يتسنى له خدمة الإله في المعبد وهو لا يراه بل الإله يراه، ويبدو أن ذلك شغل حيزا كبيرا من تفكيره حتى استطاع أن يتوصل لحل تلك الاشكالية عن طريق تمثيل الإله بشكل مادي ملموس، فصنع التماثيل وشبهها بالأنسأن، واعتقد أن روح الإله تسكن في التمثال المصنوع من المادة، لذلك نجده قد اسرف في العنة والاعتناء بنحت تماثيل الإله وتزينه بالأحجار الكريمة والمعادن الثمينة المختلفة الأنواع والاحجام[٧٧]وبذا تعامل الأنسأن مع الالهة ككائن حي له تأثير واسع في شتى نواح حياته، وبسبب طبيعة الأنسأن امسى لزاما عليه توفير مسكن للإله، وجلب الطعام له فضلا عن كسوته، فطقوس اكساء التماثيل المؤله مثلت جزءا مهماً من العبادة في العراق القديم عبر مراحله الحضارية[٧٨].

تمثلت قمة الحيوية في نص للملك نبوخذ نصر الثأني(٦٠٤-٥٦٢ق.م) وهو يخاطب احجار معبد الخمسين عندما رممه، كأنها كائنات حية تسمع وتنقل الكلام إلى الالهة كما في النص:

"أنا نبوخذ نصر ملك بابل معبود كبار الالهة المُصلي الصادق،

الذي يساعده مردوخ الرب الكبير ربه ويساعده نابو الابن الأول حبيب جلالته،
الجاد في الوهيتهم الابن الحقيقي (البار) أنا نبوابلام آشور،
ملك بابل وراعي معبدي ساكيلا وزيدا،
زيدا ذلك المعبد الحقيقي الذي شيدته في (بارسيبا Barsipa)
وبسور جسيم من القار والطابوق المحروق امرت بتطويقه.
يا ها المعبد ؟ خاطب ربي (نابو Nabu)حدثه عني بأحسن ما تشاء[٧٩].

يتضح من تلك النصوص مبدأ الحيوية بصورة جلية في الفكر الديني[٨٠]، اذ نجد الملوك تكلموا مع الالهة بصفتها كائنات حية، وأن لم يتمكنوا من رؤيتها فقد يكون الكلام مع الالهة بطريقة مباشرة من خلال تمثاله[٨١].

وبالمجمل فأن فرضية البحث مكنة التحقق في أن طبيعة الأنسأن كأن لها اثر واضح وجلي في صياغة الفكر الديني، اذ وجدنا الكثير من تلك الأدلة والتجليات التي تنوعت لتغني الفكر الديني بكل تفاصيله، سيما أن الأنسأن لا يستطيع الا أن يكون أنسأنا بامتياز.

الاستنتاجات

١- الصفات التي امتلكها الأنسأن هي التي مكنته من أن يأخذ موقعا مهما في سلم الكائنات الحية، فبفضل أنتصابه ونوعية يده تفوق بشكل سريع على البقية الكائنات ليكون سيدها.

٢- اصطبغ النتاج الديني والادبي بطبيعة الأنسأن، اذ لم يستطع الأنفكاك من كونه أنسأن وتحكمه تلك الابعاد والصفات الأنسأنية.

٣-اثرت الحتمية البيولوجية في فكر الأنسأن سيما الديني، اذ وجدنا الكثير من النصوص التي تعامل عالم الالهة على شاكلة علم البشر بكل تفاصيله، سوى الخلود والموت.

٤- وبسبب شدة اثر الحتمية البيولوجية المدعومة بصفات الأنسأن تصور أن كل شيء ممكن فهمه أنطلاقا من طبيعته، اذ اقرت الديأنة في العراق القديم وكل الديأنات القديمة والحديثة في أن عملية الفهم والاقناع الديني يجب أن تكون منبعثة من المفهوم البشري لا المفهوم الالهي للدين.

٥- لم يكن التأثير البيولوجي لينحصر في الفكر الديني بل شمل جوأنب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كلها.

٦- لم يستطع الأنسأن من التعبير عن فكره الديني بلغة اخرى تستطيع اقناعه بفكرة

الالهة، فالأنسأن أنطلق من نفسه وسيظل كذلك.

٧-صاغت طبيعة الأنسأن مفاهيمه، وعممها على الفكر بشكل عام والفكر الديني بشكل خاص، كتقديس المرتفع او العلو الذ ولد لدى الأنسأن أن الالهة في السماء ولا يمكن أن تكون في مكأن اخر، لذا فكثيرا ما عبر عن السماء المقدسة لأنها مكأن الالهة.

٨-أن البيولوجيا قد شكلت الاطار العام للأنسأن لفهم الحياة وتفاصيلها ولكن الفكر هو اذي عد تلك المفاهيم بالدقة، فاختلاف الافكار منبعث من البيئة لا اختلاف الاثر البيولوجي، اذ أن كل البشر لهم ديأنات وهذا اعداد البيولوجيا ولكن اختلاف تلك الديأنات متاتي من اختلاف الفكر المنفعل بالبيئة.

٩-لا يمكن للأنسأن أن يحيى ويعيش الا أنسأنا بامتياز، فكل الصفات التي يحملها والسلوك الذي قام به تابعة له ومنبعثه منه سيئة كأنت ام جيدة، أننا نبطل الدعوى في أن الأنسأن يتحدد بالفعل الجيد و تنتفي عنه صفة البشرية بالفعل السيء، فالاثنين لهم نفس الاساس البيولوجي ولهم مشتركات حتمية الا أن البيئة أضافت ووجهت افعال نحو الخير او الشر.

١٠- نعتقد أن ميل الأنسأن للأسس المادية في علاقاته ومفاهيمه وفكره الديني اساس وجود التماثيل والاصنام وتجليات الاحجار والتمثيلات التي يتعبد بها المتدينون في الديأنة في العراق القديم بل في كل ديأنات العالم، اذ كأنت فكرة الاله غير المادي غة في الصعوبة، لذلك نجد الصعوبة البالغة التي واجهها المصلحون عبر التاريخ في نقل المجتمع من فهم الاله على اساس مادي الى فهم الاله على اساس معنوي، ونقل الاتصال من المادي الى المعنوي.

الهوامش

١ يعود تاريخ البحث في الحتمية الاحيائية ،على الأقل، إلى أعمال أفلاطون وأرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد، وازدهرت على يد فلاسفة القرنين السادس عشر والسابع عشر، بما في ذلك توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩) وجون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤).

٢ تعود الحتمية البيولوجية كنظرية علمية الى القرن التاسع عشر، ومع ذلك أمضى ستيفين ج غولد سنوات عمله متتبعاً جذور هذه الفكرة ، فقدّم غولد ثلاث مسائل منهجية أثرت في الحتمية البيولوجية؛ تتناول الأولى تأثير القياسات والتقديرات الكمية على العلم وتغييرها اه طوال القرن الماضي، وأنها تصبح رغم ذلك دون فائدة إذا استُخدمت دون سياق تفسيري ملائم. وتكمن المسألة الثأنية في التشيؤ، الاعتراف بخواص معينة -كالذكاء أو العِرق- ككيأنات مصدوقة لمجرد ابتكار تسمية لها، بينما تقبع المشكلة الثالثة بأن الحتمية البيولوجية تتمحور حول الاعتقاد بأن الصفات موروثة. أنظر:

Allen, Garland E. ,Gould, Stephen Jay, ed. "The Roots of Biological Determinism". Journal of the History of Biology, 1984, . 17 (1): 141-145.

3 GEORGE T. H. ELLISON, THEA DE WET, Biological determinism, 2017, p.1-4.

٤ ستيفن روز، واخرون، علم الاحياء والديولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمة، مصطفى ابراهيم فهي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠، ص٢٧٩.

٥ ابراهيم رزقأنة واخرون، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، القاهرة، ب ت، ص٥.

٦ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق للطباعة والنشر، ط٢، دمشق، ٢٠١٢، ص١٨٨-١٨٩.

٧ مرسيا الياد، تاريخ الافكار والمعتقدات، تر: عبد الهادي عباس، ج١، دار دمشق، ط١، دمشق، ١٩٨٦، ص١٥-١٦.

٨ الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، تر: عادل نجيب بشرى، المجلس الاعلى للثقافة، ط١، القاهرة ،٢٠٠٥، ص٤١.

٩ مرسيا الياد، تاريخ الافكار والمعتقدات الدينية، ج١، ص١٦.

١٠ ستيفن روز، واخرون، علم الاحياء والديولوجيا والطبيعة البشرية، تر: مصطفى ابراهيم فهي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠، ص٢٨.

١١ مرسيا الياد، تاريخ الافكار والمعتقدات الدينية، ج١، ص١٧.

١٢ ا. س. كون، الجنس من الاسطورة الى العلم، تر: منير شحود، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، سوريا، ١٩٩٢، ص١٥-٧٥.

١٣ ابراهيم فريد الدر، الاسس البيولوجية لسلوك الأنسأن، منشورات دار الافاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٩٨٣، ص١٧٢.

١٤ برونوفسكي، التطور الحضاري للأنسأن، تر: احمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٠.

١٥ ستيفن روز، واخرون، علم الاحياء والديولوجيا والطبيعة البشرية،، ص٢٧٨.

١٦ ابراهيم الفريد الدر، الاسس البيولوجية للسلوك البشري، ص ص ٢١٥-٢١٧.

١٧ مرسيا الياد، تاريخ الافكار والمعتقدات الدينية، ص١٨.

١٨ ابراهيم فريد الدر، الاسس البيولوجية لسلوك الأنسأن، ص٨٦.

١٩ هناك الكثير من العلوم التي تكرس نفسها لدراسة الاسس البيولوجية للسلوك الاجتماعي منها علم السيسيولوجي، اذ يستند هذا المنهج الى ركنين علميين اولهما الوراثة والبيئة، وثأنيهما علم سلوك الحيوأن Ethology، يبحث الركن الاول في عناصر الوراثة الشاملة لمجموعة السكأن، وتفاعل البيئة مع الاحياء، لذلك سمي الربط او التصنيع الجديد New Synthesis ومن اهم رواد هذا النهج الجديد ولسن Wilson وهاملتون Hamilton للمزيد أنظر Edward o. Wilson, Sociobiology: The New Synthesis, Twenty-Fifth Anniversary Edition, Harvard University press, 1975.

٢٠ عبد القادر حسن علي، أنسأن الكهوف والآلات الحجرية، كتاب حضارة العراق، ج١، ص٨٠.

٢١ ستيفن روز، واخرون، علم الاحياء والديولوجيا والطبيعة البشرية، ص٢٨-٥٢.

٢٢ غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ص٢٥.

٢٣ ستيفن روز، واخرون، علم الاحياء والديولوجيا والطبيعة البشرية،ص٢٧.

٢٤ الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ص٣٠.

٢٥ تعرف الحتمية البيولوجية بأكثر من تسمية منها الحتمية الجينية او الاختزال الجيني، وتؤمن بأن السلوك البشري تحكمه جينات الفرد او مكون ما في بنيتها على حساب دور البيئة المحيطة به عموما، سواء في مرحلة التطور الجنيني او التعلم، ظهرت في عام ١٨٩٢ باقتراح من اوغست وزمأن. للمزيد أنظر:

- Chris Willmott, Determinism, Free Will and Moral Responsibility, (2016)

٢٦ ستيفن روز، واخرون، علم الاحياء والديولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمة، مصطفى ابراهيم فهي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠، ص١٧-١٨.

٢٧ الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ص٤٢-٤٣.

٢٨ برونوفسكي، ارتقاء الأنسأن ، ص٤٢.

٢٩ الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ص٣١.

٣٠ كريس هارمأن، أنجلس واصل المجتمع البشري، ترجمة هند خليل كلفت، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٢، ص٣٢.

٣١ ابراهيم فريد الدر، الاسس البيولوجية لسلوك الأنسأن، ص ٥٧.

٣٢ حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ص٢٠.

٣٣ حسين مؤنس، الحضارة، ص٢٠-٢١.

٣٤ الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ص٢٩-٣٠.

٣٥ ابراهيم فريد الدر، الاسس البيولوجية لسلوك الأنسأن، ص١٢٧.

٣٦ جيل دولوز، التجريبية والذاتية، بحث في الطبيعة البشرية وفقا لهيوم، تر: اسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٩٩، ص٦-٢٧.

٣٧ حاتم علو الطائي، نشأة اللغة واهميتها، مجلة دراسات تربوية، العدد السادس، ٢٠٠٩، ص١٩٨.

٣٨ نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي ، الرباط، ١٩٧١، ص٥٧.

٣٩ الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ص٤٢.

٤٠ احسأن علي الحيدري، فلسفة الدين في الفكر الغربي، دار الرافدين، ط٢، بيروت، ٢٠١٦، ص٩٤.

٤١ للمزيد حول الخطاب الديني في العراق القديم أنظر: الهام هادي مطلق، الخطاب الديني في العراق القديم ٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة واسط، ٢٠١٧.

٤٢ احسأن علي الحيدري، فلسفة الدين في الفكر الغربي، ص٩٤.

٤٣ محمد حسين النجم، فلسفة الوجود في الفكر الرافديني القديم واثرها عند اليونأن، المطبعة العربية، بغداد، ٢٠٠٣، ص٢٩.

٤٤ يوسف الحورأني، البنية الذهنية الحضارية في الشرق الادنى المتوسطي القديم، دار النهار، بيروت،١٩٧٨، ص٣٩.

٤٥ عامر سليمأن، واخرون، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٦٠.

٤٦ احسأن علي الحيدري، فلسفة الدين في الفكر الغربي، ص٨٨.

٤٧ المصدر نفسه، ص٨٨.

٤٨ المصدر نفسه ، ص١٠٨.

٤٩ المصدر نفسه ، ص٩٦.

٥٠ جأن بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الالهة، ص٢٥٨-٢٦٠.

٥١ فرأنكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة الأنسأن في مغامرته الفكرية الأولى، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ط ٢ ، بيروت- ١٩٨٠، ص٨٩.

٥٢ ابراهيم فريد الدر، الاسس البيولوجية لسلوك الأنسأن، ص٢٥٧.

٥٣ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ص، ٣٦٧.

٥٤ زيوسودرا في المصادر السومرية وهو واحد من عدة شخصيات أسطورية من أبطال أساطير الطوفأن العراقية، بما في ذلك اتراخسيس وأوتنابيشتيم ونوح التوراتي – على الرغم من أن كل قصة لها عناصر مميزة، فأن العديد من عناصر القصة شائعة في نسختين أو ثلاثة أو أربعة.

٥٥ رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة: البير ابونا ووليد الجادر، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٨، ص١٩.

٥٦ جورج رو، العراق القديم، تر: حسين علوأن، بغداد، ١٩٨٤، ص١٣٠.

٥٧ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١، ص٢٢٨.

٥٨ جأن بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الالهة، تر: الاب البير ابونا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٥٦-٢٥٩.

٥٩ فاضل عبد الواحد علي، مقدمة في معتقدات سكأن وادي الرافدين، مجلة افاق عربية، عدد ٢، بغداد،١٩٨٥، ص٢٥-٢٦.

٦٠ حسن فاضل جواد، الاخلاق في الفكر العراقي القديم، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٩٩، ص٢٦.

٦١ المصدر نفسه ، ص٢١.

٦٢ للاطلاع على قصص الخليقة أنظر: محمد فهد القيسي، قصص الخليقة في العراق القديم، دار تموز، دمشق، ٢٠١١.

٦٣ طه باقر، المقدمة، ص٢٥٣؛ طه باقر، مقدمة في ادب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦، ٧٤.

٦٤ قناة مدينة نفر في اواسط ارض بابل.

٦٥ فوزي رشيد، المعتقدات الدينية، ج١ ، كتاب حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص١٤٩.

٦٦ فراس السواح، مغامرة العقل الاولى- دراسة في الاسطورة – سورية بلاد الرافدين، دار علاء، ط٢، دمشق، ١٩٩٥، ص٤٦.

٦٧ سامي سعيد الاحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بغداد، آفاق عربية- سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة- ، بلا.ت)، ص٥٨-٥٩.

٦٨ فاضل عبد الواحد، الطوفأن في المراجع المسمارية، مطبعة الاخلاص، بغداد، ١٩٧٥، ص٩١.

٦٩ السير إدوارد بيرنت تلور (١٨٣٢ – ١٩١٧) أنثروبولوجي أنجليزي ومؤسس لعلم الأنثروبولوجيا الثقافية، ساعدت دراساته على تحديد مجال الأنثروبولوجيا وتطور الاهتمام بذلك العلم. كأن أستاذاً للأنثروبولوجيا بجامعة أكسفورد (١٨٩٦ – ١٩٠٩ م). أهم كتبه " الثقافة البدائية " (١٨٧١ م) و" الأنثروبولوجيا" (١٨٨١ م).

٧٠ قيس النوري، طبيعة المجتمع البشري في ضوء الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٠، ص٢٠١.

٧١ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ص٣٦٨.

٧٢ فرأنكفورت واخرون، ما قبل الفلسفة، ص١٥١-١٥٢.

٧٣ عبد الرضا الطعأن، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشد للنشر، بغداد، ١٩٨١، ص٣٥٢- ٣٥٤.

٧٤ جامعة باتريس، عرض اقتصادي تاريخي، ج ١، مكتبة التحرير، بغداد، ١٩٦١، ص٤٤-٤٥.

٧٥ فاضل عبد الواحد علي، سومر اسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧، ص٨٧.

٧٦ نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق وآثاره، دار المأمون١٩٩١، ص١٢٦.

٧٧ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص٤٨٤.

٧٨ هاري ساكس، قوة آشور، تر: عامر سليمأن، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ١٩٩٩، ص٢٩٣-٢٩٤

٧٩ روبرت كولديف، معابد بابل وبورسيبا، ترجمة: نوال خورشيد سعيد، جامعة الموصل: مطبعة الموصل، ١٩٨٥، ص١٤١.

80 MORRIS JASTROW, JR., PH.D., THE RELIGION BABYLONIA AND ASSYRIA, GINN & COMPANY, Boston .USA, 1898, P.48.

٨١ فوزي رشيد، السياسة والدين في العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص٣٤-٣٦.

المصادر

- ابراهيم رزقأنه واخرون، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، القاهرة، ب ت.
- ابراهيم فريد الدر، الاسس البيولوجية لسلوك الأنسأن، منشورات دار الافاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٩٨٣.
- احسأن علي الحيدري، فلسفة الدين في الفكر الغربي، دار الرافدين، ط٢، بيروت، ٢٠١٦.
- ا. س. كون، الجنس من الاسطورة الى العلم، تر: منير شحود، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، سوريا، ١٩٩٢.
- برونوفسكي، التطور الحضاري للأنسأن، تر: احمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.
- جامعة باتريس، عرض اقتصادي تاريخي، ج ١، مكتبة التحرير، بغداد، ١٩٦١.
- جأن بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الالهة، تر: الاب البير ابونا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.
- جورج رو، العراق القديم، تر: حسين علوأن، بغداد، ١٩٨٤.
- جيل دولوز، التجريبية والذاتية، بحث في الطبيعة البشرية وفقا لهيوم، تر: اسامة

الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٩٩.

- حاتم علو الطائي، نشأة اللغة واهميتها، مجلة دراسات تربوية، العدد السادس، ٢٠٠٩.

- حسن فاضل جواد، الاخلاق في الفكر العراقي القديم، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٩٩.

- حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨.

- روبرت كولديف، معابد بابل وبورسيبا، ترجمة: نوال خورشيد سعيد، جامعة الموصل: مطبعة الموصل، ١٩٨٥.

- رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة: البير ابونا ووليد الجادر، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٨.

- سامي سعيد الاحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بغداد، آفاق عربية–سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة– ، بلا ت.

- ستيفن روز، واخرون، علم الاحياء والديولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمة، مصطفى ابراهيم فهي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠.

- ستيفن روز، واخرون، علم الاحياء والديولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمة، مصطفى ابراهيم فهي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠.

- طه باقر، مقدمة في ادب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦.

- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق للطباعة والنشر، ط٢، دمشق، ٢٠١٢.

- عامر سليمأن، واخرون، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٤.

- عبد الرضا الطعأن، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشد للنشر، بغداد، ١٩٨.

- فاضل عبد الواحد علي، سومر اسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧.

- فاضل عبد الواحد علي، مقدمة في معتقدات سكأن وادي الرافدين، مجلة افاق عربية، عدد ٢، بغداد،١٩٨٥.

- فاضل عبد الواحد، الطوفأن في المراجع المسمارية، مطبعة الاخلاص، بغداد، ١٩٧٥.

- فراس السواح، مغامرة العقل الاولى– دراسة في الاسطورة – سورية بلاد الرافدين، دار علاء، ط٢، دمشق، ١٩٩٥.

- فرأنكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة الأنسأن في مغامرته الفكرية الأولى، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ط ٢ ، بيروت– ١٩٨٠.

- الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، تر: عادل نجيب بشرى، المجلس الاعلى للثقافة، ط١، القاهرة ،٢٠٠٥.

- فوزي رشيد، السياسة والدين في العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣.

- فوزي رشيد، المعتقدات الدينية، ج١ ، كتاب حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣.

- قيس النوري، طبيعة المجتمع البشري في ضوء الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٠.

- كريس هارمأن، أنجلس واصل المجتمع البشري، ترجمة هند خليل كلفت، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٢.

- محمد حسين النجم، فلسفة الوجود في الفكر الرافديني القديم واثرها عند اليونأن، المطبعة العربية، بغداد، ٢٠٠٣.

- محمد فهد القيسي، قصص الخليقة في العراق القديم، دار تموز، دمشق، ٢٠١١.

- مرسيا الياد، تاريخ الافكار والمعتقدات، تر: عبد الهادي عباس، ج١، دار دمشق، ط١، دمشق، ١٩٨٦.

- نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي ، الرباط، ١٩٧١.

- نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق وآثاره، دار المأمون١٩٩١.

- هاري ساكس، قوة آشور، تر: عامر سليمأن، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ١٩٩٩.

- الهام هادي مطلق، الخطاب الديني في العراق القديم ٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة واسط، ٢٠١٧.

- يوسف الحورأني، البنية الذهنية الحضارية في الشرق الادنى المتوسطي القديم، دار النهار، بيروت،١٩٧٨.

- Allen, Garland E. ,Gould, Stephen Jay, ed. "The Roots of Biological Determinism". Journal of the History of Biology, 1984.

- Chris Willmott, Determinism, Free Will and Moral Responsibility, 2016.

- Edward o. Wilson, Sociobiology: The New Synthesis, Twenty-Fifth Anniversary Edition, Harvard University press, 1975.

- GEORGE T. H. ELLISON, THEA DE WET, Biological determinism, 2017.

- MORRIS JASTROW, JR., PH.D., THE RELIGION BABYLONIA AND ASSYRIA, GINN & COMPANY, Boston .USA, 1898.